معركة أجنادين

متى وقعت ؟

وأين وقعت ؟(*)

كنا أشرنا فى مقالنا فى « المجلة العسكرية » عن قيادة خالد بن الوليد فى حروب الردة ، الى ما يعانيه الباحث من مشقة وصعوبة فى تمحيص الوقائع التى حدثت فى فتوحات صدر الاسلام ، وذكرنا باختصار الغموض الوارد فى كتب التأريخ الباحثة عن تلك الفتوحات سواء أكان فى تثبيت تأريخ الوقائع أم فى تعيين مكان وقوعها أم فى كيفية وقوعها . ومما يدل على هذا الغموض ما كتبه المؤرخون القدماء عن (معركة أجنادين) . ويتضح لمن يقرأ كتب التأريخ أن المؤرخين القدماء لم يتفقوا على تأريخ وقوع معركة أجنادين ؛ فالبلاذرى واليعقوبى مثلا ذكرا أنها وقعت سنة ١٣ هـ ، على حين ذكرها الطبرى فى حوادث سنة ١٥ هـ . واستند ابن الأثير الى ما ذكره الطبرى ، فجعلها من وقائع السنة المذكورة . أما ابن خلدون فقد ذكر أنها وقعت فى سنة خمس عشرة الهجرية . وأما ابن عساكر الدمشقى فيستند الى رواية شيخه أبى القاسم ابن السمرقندى التى تنتهى الى أبى حذيفة اسحاق بن بشر القرشى ، ويجعل معركة أجنادين من وقائع سنة ١٣ هـ .

والغريب فى الأمر أن الطبرى وابن الأثير أشارا الى وقوع الحادثة ضمن وقائع السنة الثالثة عشرة الهجرية والسنة الخامسة عشرة الهجرية .

وللتثبت فى تأريخ وقوع معركة أجنادين خطوة من حيث تفنيدها للروايات المزاعمة أن أول عمل قام به « عمر » بعد استخلافه عزله لخالد بن الوليد ، ونصبه

---

(١) لقد اعتمدنا فى كتابة مقالنا هذا على البحوث القيمة التى نشرها المستشرق الطليانى « لئونه كيتانى Leone Caetani فى كتابه « حوليات الاسلام Annali Dell, Islam » (الجزء الأول من المجلد الثالث ، من الصفحة ١٣ الى الصفحة ٧٣) .

أورد كيتانى فى بحوثه تلك جميع الروايات الاسلامية والأجنبية الباحثة عن « معركة أجنادين » ، ومحصها ووازن بينها ، واستنبط منها نتائج رائعة دلت على براعته فى تمحيص وقائع التأريخ الاسلامى فى منتصف القرن الهجرى الأول .

أبا عبيدة بن الجراح محله قائدا عاما على الجيوش العربية فى بلاد الشام . والواقع أنه ان ثبت أن المعركة وقعت سنة ١٣ الهجرية ، وهى السنة التى تولى فيها عمر الخلافة ، فتصبح الروايات الذاكرة لعزل عمر لخالد حين استخلافه لأبى بكر غير صحيحة ؛ لأن الروايات كادت تجمع على أن عمر عزل خالدا قبيل معركة اليرموك التى ان ثبت أن معركة أجنادين جرت فى سنة ١٣ هـ ، فينبغى أن تكون وقعت (معركة اليرموك) فى سنة ١٥ هـ ؛ لأنه لايصح أن تقع المعركتان فى وقت واحد ، وهما على ما يظهر وقعتان حاسمتان .

ان للتثبت فى تأريخ وقوع معركة أجنادين كما ذكرنا سابقا أهمية خاصة تتعلق بعزل خالد بن الوليد . فان وقع العزل قبل معركة اليرموك فانه يكون عمر قد أجل عزل خالد الى سنة ١٥ هـ ، على الرغم من أنه كان ينتقد أعماله فى خلافة أبى بكر ، وحاول كثيرا أن يحمله على عزله . وهو مما يدل على كياسة عمر وبعد نظره كما فصلنا خبره فى كتابنا (حكومة عمر)[1] .

متى وقعت معركة أجنادين ؟

ولأجل أن نعرف اليوم الذى وقعت فيه معركة أجنادين ينبغى لنا أن نمحص الروايات الذاكرة لها ، ونوازن بين الروايات التى زعمت أن المعركة جرت سنة ١٥ هـ ، والروايات الأخرى التى ذكرت أنها نشبت فى سنة ١٣ هـ . ومن الطبيعى أننا سنفضل روايات الاخباريين القدماء على الروايات المتأخرة .

ومن الحقيقة أن أصحاب الروايات القديمة ، منهم من عاشوا فى نهاية القرن الهجرى الأول ، ومنهم من عاشوا فى القرن الهجرى الثانى ، ومعنى ذلك أنهم ذكروا رواياتهم بعد وقوع المعركة بأكثر من نصف قرن ، فى أقل تقدير ، فانهم لم يشهدوا الوقائع ، وانما رووها عمن تقدمهم من الرواة اسنادا ، حتى تنتهى الرواية بمن شهد الوقعة ، أو سمعها ممن شهدها . فالغموض الذى نشاهده فى حوادث فتوحات صدر الاسلام ، والاختلاف فى تأريخ وقوعها ، وكيفية وقوعها ، ناشىء من أن الأخباريين الذين سجلوا أخبار الفتوح ، لم يشهدوا الوقائع ؛ وانما ثبتوها بعد حدوثها بمدة غير قليلة . وفى الأمر غموض آخر ناشىء من الأخطاء التى ارتكبها النساخ ، كاهمالهم لنقطة ، أو وضعهم نقطة فى غير محلها . ولا يخفى ما لهذا الاهمال من تأثير سىء فى صحة الأعلام . أما الروايات التى شرحت معركة أجنادين ، فقد ورد ذكرها

(١) قررت لجنة الترجمة والتأليف والنشر المصرية طبعه بنفقتها ، ولما يتم طبعه .

في أقدم كتب الفتوح ، وهي : كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، وتأريخ ابن واضح اليعقوبي ، وتأريخ الطبري . أما الكتب التأريخية الأخرى التي نشرت من بعد ، فهي اما كررت ما جاء في الكتب المتقدمة بلا اسناد ، واما استندت الى روايات أخرى بالإسناد روى أكثرها الأخباريون الذين جاء ذكرهم في الكتب المتقدمة المذكورة .

ولا بد من تفضيل رواية على رواية أخرى ، فالروايات المدنية مثلا تفضل على الروايات العراقية حين البحث في وقائع فتوح الشام ؛ لأن أهل الحجاز شاركوا فيها ؛ ولهذا كان من الطبيعي أن تفضل روايات ابن اسحق والواقدي على روايات سيف بن عمر مثلا .

والآن فلنبدأ بذكر الروايات العربية مقدمين الأخباريين على حسب تأريخ وفياتهم :

(١) روايات محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ . جاءت هذه الروايات في كتاب الطبري في وقائع السنة ١٣ الهجرية عند ذكره سفر خالد بن الوليد الى الشام مددا لمن فيها من المسلمين ، وتذكرها كما يلي : « ثم سار (خالد) حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، وجمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين . فكانت أول مدينة من مدائن الشام ... » الى أن يقول : « ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص ، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمعت الروم بهم ، فانكشفوا عن جلق أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل ... » .

وبعد أن ذكر ابن اسحاق وقوع المعركة ، قال : « قالوا : وكانت أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ... »[1] .

(٢) رواية سيف بن عمر . توفي سيف بن عمر سنة ١٨٠ هـ ، وهو من قبيلة بني أسد ، وأسد لم تشارك في فتوح الشام . وتميزت رواياته بالاسهاب والمبالغة . وقد اعتمد الطبري على كثير من رواياته بالرغم من أنه لم يكن له رأي حسن فيه . وتعد رواياته أقل وثاقة من روايات أهل المدينة فيما يتعلق بفتوح الشام . والرواية التي وردت في تأريخ الطبري في حوادث سنة ١٥ هـ بعنوان فتح بيسان ووقعة أجنادين ، تختلف كثيرا عن الروايات التي ذكرها رواة المدينة لتلك المعركة . وقد يظن القارىء أنها معركة أخرى جرت في أجنادين ، وهذا غير واقع . نذكر الرواية كما يأتي : « ولما توجه علقمة الى غزة ، وتوجه معاوية بن أبي سفيان الى قيسارية ، صمد عمرو بن العاص الى الأرطبون ، وهو

(١) تأريخ الطبري (٢/٦١٠ و ٦١١) . طبع القاهرة ، سنة ١٩٣٩ م .

بازائه ، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته .... فخرج عمرو بن العاص حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم ، وعليهم الأرطبون .. »[1] .

ومن الغريب أن سيف بن عمر أسهب في ذكر المعركة ، وزعم أن عمرو بن العاص اجتمع بقائد الروم أرطبون ، وجرى بينهما حديث خدع به عمرو أرطبون ، ولكنه لم يذكر تاريخ وقوع المعركة ، مع أن الرواة الآخرين ـ على اختصارهم للحوادث ـ ذكروا تاريخ المعركة بيومها ووقتها .

(٣) رواية الواقدي ، وهو من رواة المدينة الثقات ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . وردت هذه الرواية في تاريخ ابن عساكر كما يأتي : « وقال الواقدي : واليقين عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وبشر بها أبو بكر بآخر رمق »[2] .

وذكر ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته في ترجمة عمرو بن سعيد أن عمرا قتل في يوم أجنادين في خلافة أبي بكر في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وكان على الناس يومئذ عمرو بن العاص .

(٤) رواية علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ . ذكر الطبري روايته في وقائع سنة ١٣ هـ ، ونذكرها كما يأتي :

« قال المدائني : وأتى خالد دمشق ، فجمع له صاحب بصرى ... » الى أن قال : « فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة ... »[1] .

(٥) ما ذكره البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ في كتابه فتوح البلدان . ذكر البلاذري أن معركة أجنادين وقعت في سنة ١٣ هـ ، وكتب خبرها في كتابه بعنوان يوم أجنادين ، وقال : « ويقال أجنادين الأولى بكسر الدال والثانية بفتحها ... » الى أن قال : « ثم كانت وقعة أجنادين ، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف ، سرب هرقل أكثرهم ، وتجمع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ... » .

وبعد أن ذكر خبر المعركة ومن استشهد فيها من الصحابة ، قال : « وكانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، ويقال لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال لليلتين بقيتا منه .. »[4] .

---

(١) تاريخ الطبري (٣/١٠) .
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (١/١٤٤) .
(٣) تاريخ الطبري (٢/٦١١) .
(٤) فتوح البلدان (١٢٠ و ١٢١) ، طبع القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

(٦) ما ذكره ابن واضح اليعقوبى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ فى كتابه تأريخ اليعقوبى ، قال : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد ، بعد وصوله من الشام الى العراق ، صار الى غوطة دمشق ... وصار الى حوران ، فقصد مدينة بصرى ، فحاربهم ، فسألوه الصلح ، فصالحهم . ثم صار الى أجنادين ، وبها جمع الروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة . وكانت وقعة أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة »[١] .

يظهر من هذه الروايات القديمة التى ذكرناها عن معركة أجنادين أن جميع الرواة اتفقوا على أن المعركة وقعت سنة ١٣ هـ ، ما عدا سيف بن عمر ، فقد ذكر أنها وقعت سنة ١٥ هـ .

(٧) جاء فى كتاب الغزوات لأبى القاسم عبدالرحمان بن محمد الأنصارى المرسى الملقب بابن حبيش ، المتوفى سنة ٥٨٤ هـ : أن أبا بكر توفى لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة ، ليلة الثلاثاء ، أى بعد أجنادين بأربعة وعشرين يوما ... » . والخبر هذا يؤيد أن المعركة وقعت فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ[٢] .

(٨) تراجم ابن عبدالبر النمرى القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتاب الاستيعاب . جاء فى ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص ما يأتى :

« وقتل عمرو بن سعيد مع أخيه بأجنادين سنة ١٣ الهجرية ، هكذا قال الواقدى وأكثر أهل السيرة ... » .

وقال فى ترجمة أبان بن سعيد بن العاص : « وكانت اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ فى خلافة عمر . وكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ قبل وفاة أبى بكر بدون شهر »[٣] .

(٩) تأريخ ابن عساكر : وردت رواية فى هذا الكتاب لأبى القاسم ابن السمرقندى باسناده الى أبى حذيفة اسحاق بن بشر القرشى مؤداها أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية وقت صلاة الظهر .

وفى رواية للزهرى أن أجنادين وفحلا وقعتا سنة ١٣ الهجرية . وأما أجنادين ، فكانت فى جمادى الأولى . وأما فحل ، ففى ذى القعدة .

---

(١) تأريخ اليعقوبى (ص ١١٢) طبع النجف .

(٢) لم نطلع على هذا الكتاب ، وذكرنا الرواية نقلا عن كتاب كيتانى ، والكتاب يبحث فى أخبار الفتوح من سنة ١١ الى سنة ٣٥ هـ وهو مخطوط فى خزانة كتب برلين الملكية .

(٣) الاستيعاب (١/٣٧) و (٢/٤٢٩) .

ومع هذا الوضوح فى الروايتين اعتمد ابن عساكر فى شرح حوادث المعركة على رواية سيف بن عمر ، فقدم اليرموك على أجنادين[١] .

(١٠) جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى أن أبا بكر بعث عمرو بن العاص والجنود الى الشام ، فكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، ونصر المسلمون ، وبشر بها أبو بكر بآخر رمق . وفيها كانت وقعة مرج الصفر »[٢] .

(١١) ذكر ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان فى مادة أجنادين : أن أبا اسحاق ابن بشر المتوفى سنة ٢٠٦ هـ روى أن وقعة أجنادين كانت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر .

(١٢) أما ابن خلدون ، فيظهر أنه تأثر بروايات سيف بن عمر ، ووصف المعركة كما جاء فى تاريخ الطبرى برواية سيف فقال : « تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها ، وهذا على قول من جعلها بعدها »[٣] . ولكنه حينما وصف وقائع اليرموك فى الصفحة (٨٥) قال : « وكانت وقعة اليرموك فى رجب بعد أجنادين » .

(١٣) ذكر الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى كتابه تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، وقعة أجنادين فى حوادث سنة ١٣ الهجرية . قال : « وقال ابن اسحاق : ثم ساروا جميعا قبل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين جرش ، والأمراء كل على جنده . وقيل : ان عمرا كان عليهم جميعا ، وعلى الروم القيقلان ، فقتل ، وانهزم المشركون يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . وقال الواقدى : ان الثبت عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى ، وبشر بها أبو بكر »[٤] .

(١٤) قال ابن كثير ، بعد أن ذكر أن وقعة اليرموك فى سنة ١٣ قبل فتح دمشق استنادا الى رواية سيف بن عمر وبتأييد الطبرى : « وأما الحافظ ابن عساكر ، فانه نقل عن يزيد بن أبى عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبى معشر ، أنها كانت فى سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . ثم قال : « وقال محمد بن اسحاق : كانت فى رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط : قال ابن الكلبى : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر : وهذا هو المحفوظ ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة ، فلم يتابع عليه[٥] » .

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر . (٢) تاريخ الخلفاء (٥٢) .
(٣) تاريخ ابن خلدون (٢/١٠٦) .
(٤) تاريخ الذهبى (١/٣٧٥) طبع القاهرة .
(٥) تاريخ ابن كثير (م ٧ ص ٤) .

(١٥) جاء في تاريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، وهو من المتأخرين : « ان الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت » . ثم روى عن سهل بن سعد أنه قال : « وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشام ، وكانت سنة ١٣ هـ في جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه »[١] .

المصادر الرومية واللاتينية والسريانية[٢]

وردت أخبار الفتوح الأولى في المصادر الرومية واللاتينية والسريانية غامضة ، فهي فيها عبارة عن اشارات وتلميحات قد يصعب استنباط الحقيقة منها ، وفيها تقف وردت هنا وهناك ، من غير ذكر لأسماء المواقع . ومع ذلك يستطيع الباحث المنقب أن يستخرج منها معلومات تساعده على استقصاء أخبار الفتوح الأولى .

ومن المصادر الرومية كتاب تيوفانس المتوفى سنة ٨١٩ م ، أى في حدود سنة ٢٠٠ هـ . وقد ذكر هذا المؤرخ أن أبا بكر بعث سنة ٦٣٤ م (سنة ١٣ هـ .) أربعة قادة (وكان معهم العرب الذين سخطوا على هرقليوس ؛ لأنه قطع عنهم الاتاوة) يدلونهم ، ففتح أولئك القادة (La Héra) وجميع بلاد غزة ، فتقدم نحوهم على عجل سرجيوس حاكم قيسارية على رأس قوة صغيرة ، ولكن قوته هذه المؤلفة من ثلاث مئة رجل كسرت شر كسرة ، وقتل سرجيوس في أول المعركة ، فرجع العرب بالغنائم والأسرى بعد هذا الانتصار الباهر .

ويشير تيوفانس الى وقعة سماها « دثيس » أو « دثيما » ، وينبغي أن تكون وقعة الدثينة أو داثن التي ذكرها الرواة المسلمون ، ووقعت بين الروم وأبى أمامة القضاعي الذي بعثه يزيد بن أبي سفيان . ذكر دى غويه الذي اقتبسنا هذا الخبر من كتابه (مذكرة عن فتح سورية)[٣] ، أن سرجيوس لم يقتل في هذه المعركة ، كما يظهر من كتاب صفرنيوس بطريرك القدس المرسل الى سرجيوس . وقد سمى صفرنيوس بطريركا سنة ٦٣٤ م . ويضيف دى غويه أنه لا يستطيع أن يتبين موقع (Héra) التي أشار اليها تيوفانس ، ويلوح له أن المؤرخ المذكور خلط وقائع العراق بوقائع جنوبى فلسطين – وهو مؤرخ بيزنطي ربما لاتهمه وقائع العراق . وعلى كل حال ينبغي

---

(١) تاريخ الخميس (٢/٢٣٤) .

(٢) أشار كيتاني في بحثه عن معركة أجنادين الى هذه المصادر ، وذكرها المستشرق الهولندى دى غويه في مذكرته عن فتح سورية .

(٣) (ص ٣٤) De Goje: MéMoire sur la Conepuéte De La Syrie

أن تكون (هيره) الواردة فى كتابه هى (الحيرة) التى افتتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ .

أما المؤرخ الأرمنى سيبؤس ، فقد ذكر « أن العرب عسكروا فى رهابوث موآب فى بلاد سبط روبن ، على حين عسكر جيش الروم فى (العربية) . هاجم العرب الروم بغتة ، فكسروهم وقتلوا منهم عددا كبيرا بعد ما هزموا ثيودوس أخا الامبراطور ، ثم رجعوا الى العربية » . يشير دى غويه الى أن العربية الأولى التى عسكر فيها الروم هى العزبة ، أو وادى العربة . أما العربية الثانية التى تسحب اليها العرب ، فينبغى أن تكون البلاد العربية . ويظهر مما ذكره المؤرخ الأرمنى أنه خلط بين قتال وادى العربة أو الدثينة وبين معركة أجنادين [١] .

ثم يأتى نيسوفورس بطريرك القسطنطينية (وهو معاصر لثؤفانس . مات سنة ٨٢٩ م) ، فقد ذكر هذا المؤلف « أن العرب استولوا على بلاد انطاكية ؟ بعد الاحتفال الذى جرى لهرقل بضع سنوات بمناسبة عودته اليها من حرب الفرس فاتحا . ثم أشار نيوسفورس ، فى الصدد هذه الحوادث ، الى قتل سرجيوس قائد غزة بعد أن ذهب على رأس قوته ليحول دون توغل العرب فى جنوبى فلسطين . وهو الذى ذكر بعض مؤرخى العرب أنه قتل فى معركة الداثن ... » ثم ذكر أن هرقل غضب على أخيه تئودور وجعل بدله قائدا آخر يدعى تئودور وجعله (تريثوريوس Trithurius) وناط به قيادة الشرق ، وأوصاه بألا ينشب المعركة مع الشرقيين (العرب) . ولكن العرب رتبوا كمينا ، وأفرزوا قوة صغيرة لمناوشة الروم ، وحملوهم على التقدم شيئا فشيئا حتى أوقعوهم فى الكمين ، فهجموا عليهم من جهتين ، وقتلوا عددا كبيرا من جنود الروم وقادتهم ... » [٢] .

يصعب الحصول على فكرة واضحة مما كتبه نيسوفورس ، ولعل القتال الذى يشير اليه وقتل فيه خلق كثير من الروم هو القتال الذى وقع فى يوم اليرموك ؟ لأن هرقل سخط على أخيه وأبعده عن سورية بعد حادثة (أجنادين) كما يتضح مما جاء فى كتب التاريخ .

أما المؤرخ انسريانى ميخائيل ، فذكر أن عمر تولى الخلافة بعد أبى بكر ، وأرسل جيشا الى العربية (أى المقاطعة الرومانية التى تدعى العربية ، وهى شرقى الأردن) ففتح العرب مدينة بصرى ، وخربوا عدة مدن . وقد وقع ذلك فى

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب[١] .

وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان تئوذريك كان يقود الروم . ولابد أن يكون هذا أخا هرقل الذى سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انهزام الروم فى عربة الدئينة وقبل اليرموك ، فلابد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التى وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بنى اسماعيل العرب بالانتصار ، وفى ذلك ارادة الله التى أنقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التى ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .

وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التى وعظها صفرنيوس بطريرك القدس فى عيد ميلاد المسيح فى (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهى :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر فى هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وآثامنا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والبقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اننا ، والحق يقال ، لسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التى قبلت الرب الآله ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا لرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل خوفنا من سيف البدو ... » .

وفى موعظة أخرى :

« فاذا كملنا اذن اراده الله الأبوية ، وحافظنا بثبات على الايمان القديم ، فسنقصى عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، ونصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفى وقت قصير سنشاهد بيت لحم الالهية ، وسنتأمل العجائب التى تحتويها .. » .

وفى محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بنى هاجر الأشرار هى الآن شاغلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين فى عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد البتة بالذهاب اليها . وان القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيته للذهاب الى هذه

---

(١) كيتانى : (م ٣ ج ١/٦٧) .

المدينة المقدسة ... »[١] .

يتضح من هذه المواعظ أن المسلمين كانوا قد استولوا على جنوبى فلسطين فى ذى القعدة سنة ١٣ هـ ، وهذا يصادف شهر كانون الأول سنة ٦٣٤ م ؛ لأن المواعظ تشير الى اضطرار أهل مدينة القدس الى البقاء فى مدينتهم وعدم الخروج منها للذهاب الى بيت لحم للاحتفال بعيد ميلاد المسيح فيها ... مما يدل على أن معركة أجنادين وقعت قبل هذا التاريخ ، اذ لم يتسن للعرب منع أهل القدس من الخروج الا بعد طردهم الروم من جنوبى فلسطين ، وقد تم لهم ذلك فى أجنادين .

هكذا يتأكد لنا ، من المصادر العربية والاشارات التى وردت فى قسم من المصادر الرومية واللاتينية والسريانية ، أن معركة أجنادين وقعت سنة ١٣ هـ قبل معركة اليرموك بسنتين ، وقد أيد هذا أكثر الأخباريين كابن اسحاق والواقدى والمدائنى ، والمؤرخين كالبلاذرى واليعقوبى وغيرهما من المتقدمين ، فضلا عن روايات وردت فى كتب من أرخ بعدهم كابن عساكر ، وما جاء فى تراجم الذين استشهدوا فى أجنادين وفى كتب أخرى أدبية وغيرها . ومما يلفت النظر أن الطبرى اعتمد كثيرا على روايات سيف بن عمر ، فذكر خبر اليرموك فى حوادث سنة ١٣ هـ ، وأثبت خبر أجنادين فى حوادث سنة ١٥ هـ بالرغم من أنه أشار الى روايات ابن اسحاق والمدائنى التى تجعل معركة أجنادين فى سنة ١٣ هـ . ومما يلفت النظر أن ابن عساكر أيضا ذكر وقعة أجنادين فى وقائع سنة ١٥ هـ ، واستند فى وصفها الى ما رواه سيف بن عمر نقلا من تاريخ الطبرى ، مع أنه لم يجعل من تاريخه نسخة أخرى لتاريخ الطبرى كما فعل ابن الأثير ، بل يحاول أن يجعله مستقلا الى حد ما . وقد ذكر رواية الواقدى التى قال فيها : « واليقين عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق »[٢] . كما أنه أورد رواية الزهرى التى جاء فيها أن وقعة أجنادين وفحل فى سنة ١٣ هـ . فأما أجنادين ، فكانت فى جمادى الأولى ، وفحل فى ذى القعدة .

ومن الغريب أن أبا الفداء لم يشر فى تاريخه الى وقعة أجنادين ، وذكر وقعة اليرموك فى حوادث سنة ١٥ هـ .

---

(١) جاءت هذه المواعظ فى La Maxima Bibliotheca (١٢/٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩) Veterum Patrum والنص اللاتينى ورد فى كتاب ذى غوية (مذكرة عن فتح سورية) (ص ١٧٤ ، ١٧٥) . وقد تفضل القس بطرس سابا فترجمها لنا من اللاتينية الى العربية .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (١/١٤٤) .

أما ابن خلدون ، فذكر معركة أجنادين بعد معركة اليرموك كما شرحها الطبري ، ثم قال : « وقد تقدم لنا ذكر الواقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها ، وهذا على قول من جعلها بعدها »[١] . وذكر في مكان آخر كيف وقعت المعركة على قول من جعلها قبل اليرموك فقال : « ويقال : ان خالدا لما جاء من العراق الى الشام لقي أمراء المسلمين بصرى ، فحاصروها جميعا حتى فتحوها على الجزية ، ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص ، وعمرو بالغور ، والروم بجلق مع تذارق أخي هرقل ، وكشفوا عن جلق الى أجنادين وراء الرملة ، وذلك في منتصف جمادى الأولى من السنة ، وقتل فيها تذارق ، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالفاقوصة [٢] عند اليرموك . وكانت واقعة اليرموك في رجب بعد أجنادين »[٣] .

الأسباب العسكرية والضرورات السوقية

راجع الخارطة (١)

الحقيقة أن مجرى الحركات العسكرية وضرورات سوق الجيش تحمل الباحث على أن يقدم معركة أجنادين على معركة اليرموك بعد أن يعلم أن معركة أجنادين نشبت في جنوبي فلسطين ، وأن وقعة اليرموك جرت جنوبي دمشق عند اليرموك . ويحسن بنا أن نذكر باختصار كيف تقدمت القوات العربية في زحفها نحو الشام .

ذكر البلاذري أن عقد الألوية لأمراء الجيوش الذين بعثهم أبو بكر كان يوم الخميس مستهل صفر سنة ثلاث عشرة ، وذلك بعد مقام المعسكرين بالجرف المحرم كله[٤] .

يؤيد هذا الخبر ما رواه المدائني : أن أبا بكر وجه الجيوش أول سنة ثلاث عشرة ، وفي رواية ابن اسحاق في الطبري أن أبا بكر جهز الجيوش الى الشام لما قفل من الحج سنة ١٢ هـ . وهذا التأريخ لا يبعد كثيرا عن التأريخ الذي ذكره المدائني والبلاذري . وكان من الطبيعي ألا يفكر أبو بكر في ارسال الجيوش الى الشام قبل أن يتم الظفر في اليمامة ويدحر المرتدين ... وذكر البلاذري أن فتح اليمامة تم سنة ١٢ هـ . وفي التواريخ روايات تؤيد وقوع معركة عقربا في شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ ، والروايات

---

(١) تأريخ ابن خلدون (٢/١٠٦) .

(٢) هكذا جاءت ، والصواب (الياقوصة) ، وهي قرية شمال نهر اليرموك واقعة الى جنوب شرقي قصبة (فيق) على حافة السفوح المنحدرة الى النهر . ما تزال قائمة .

(٣) تأريخ ابن خلدون (٢/٨٥) . (٤) فتوح البلدان (١١٦) .

تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق فى المسير . أما الروايات التى تزعم أن الجيوش تحركت فى وقت واحد ، فلا يؤبه لهـا ، وكذلك الروايات التى تجعل أبا عبيـدة بن الجراح الأمير الرابع ، هى على ما ظهر لنا ضعيفة . أما أن يزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمن الثبت . وجاء فى أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء الى يزيد بن أبى سفيان . وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله ردءا فى تيماء ، أى عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيدا لارسالها الى الشام . وذكر ابن الأثير فى تأريخه أنه قيل : ان أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد الى العراق (١) .

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق الى حد ما على الواقع ؛ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذى كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان مكلفين جمع الصدقات . ولعل أبا بكر أرسله الى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المتنصرة عملاء البيزنطيين ، اذ قد ينهز الروم الحرب الداخلية فى بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة فى الانتصار للمرتدين .

وليس من شك فى أن أبا بكر فكر فى ارسال الجيش الى الشام عقب انتهاء حركات الردة . وعزمه على ارسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأى الصحابة لما طلبوا اليه أن يكف عن ارسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف فى المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ فهذا يجوز أن يكون أبو بكر قـدم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم فى الشام . ويظهر أنه استمع بعد ذلك الى رأى عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبى سفيان فى محله .

وفى رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التى عقد لها هو جيش يزيد بن أبى سفيان ، وكان هدفه البلقـاء ، وطريقه طريق تبوك . ولعل عمرو بن العـاص كان على رأس الجيش الثانى الذى سلك طريق الساحل من الوجه الى أيلة ، وهدفه جنوبى فلسطين . أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحبيل بن حسنة الذى يلوح أنه أرسل مددا ليزيد بن أبى سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات . وفى التواريخ روايات تروى

(١) تأريخ ابن الأثير (٢/١٥٤) .

ارسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبي سفيان مددا • ويتراءى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث الى الشام : اما على رأس قوة قليلة ، واما وحده ليتولى امرة الشام • ولعله ترك المدينة الى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة • وذكر البلاذري أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة ، فاستعفاه من ذلك ، وأضاف قائلا : « وقد روى قوم أنه عقد له » ، وليس ذلك بثبت • ولكن عمر ولاه الشام حين استخلف »[1] • ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبي عبيدة في معركة اليرموك ، ولم تشر الى وجوده في معركة أجنادين الا روايات قليلة •

اذن يتضح لنا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبي سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته البلقاء • وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مددا لجيش يزيد بن أبي سفيان •

لانظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجري الآن في الجيوش التي تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص • ومع أنها كانت تتحرك على انفراد في مناطق خاصة بها ، ففي الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع في منطقة واحدة لتتعاون على دحر العدو ، لهذا طلب الى الأمراء في هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذي تجري الحركات في كورته •

والآن ، فلنبحث في الطريقة المثلى التي ينبغي أن تسلكها هذه الجيوش حين توغلها في بلاد الشام •فالمبادىء الحربية تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب وجهتها الشمال ، وأن تسعى في زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتي اليها منها ، ولأنها سوف تلتجيء اليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها • ويلوح لنا أن الروايات التي ذكرت أن هدف يزيد بن أبي سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهذا نجزم بأن البلقاء كانت هدف يزيد بن أبي سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص • ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز الى أحدهما عند الضرورة •

لا نعلم شيئا عما صادفته هذه الجيوش في طريقها ، فالروايات سكتت ، وقد نستنتج

(١) فتوح البلدان (١١٦) •

من ذلك أنها لم تصادف فى طريقها مقاومة من جانب العدو . ولقد أسهب سيف بن عمر على عادته فى وصف حركات جيش خالد بن سعيد ، فزعم أنه تقدم من تيماء ، ووصل الى الزيزاء والقسطل ، وهما محلان على جادة دمشق جنوبى عمان ، ثم اصطدم هو وياهان بطريق الروم ، وخالف أمر أبى بكر فتقدم نحو دمشق طالبا الحظوة ومعربا ظهره للعدو ، فنزل بمرج الصفر ، فأخذت قوات باهان عليه الطريق ، وباغتت المسلمين حين كانوا يسقون ركوبهم ، فتغلبت عليهم ، وانهزم خالد .

يتراءى لنا أن سيف بن عمر خلط الروايات ، فقدم وأخر . ولعل فى خبره هذا أثر ذكريات قتال وقع قرب مرج الصفر ، هزم فيه خالد ، وذلك بعد عزله عن القيادة ومشاركته فى الفتوح محتسبا فى جيش يزيد بن أبى سفيان . وهناك بين الأخبار خبر يزعم أن أول صلح بالشام صلح مأب ، وهى ناحية من نواحى البلقاء . ولكن رواية أخرى تنفى خبر هذا الصلح ، وتجعله بعد فتح بصرى . وهذا كل ما نعلمه عن جيش يزيد فى مسيره نحو البلقاء . ويجوز أنه استمر فى مسيره حتى قارت مدينة بصرى المحصنة ، وظل يرقبها من جهة ويترقب أخبار شرحبيل وعمرو بن العاص من جهة أخرى .

وكان من الطبيعى أن عمرو بن العاص أول من اصطدم هو والروم ؟ لأن هدفه كان أقرب الأهداف ، ولأن الروم كانوا يرابطون فى مدن فلسطين ، ومركز جندهم فى قيسارية وفيها مدن القدس وطبرية وغزة وغيرها من المدن الأخرى التى كانت تحميها الحاميات الرومية ؟ لهذا كان لابد من أن يصطدم جيش عمرو وقوات الروم . والروايات تدل على أن عمرو بن العاص نزل بغمر العربات ، وهذا المحل فى جنوبى البحر الميت فى وادى عربة ، ثم تقدم نحو غزة فصادف قوات جورجيوس حاكم قيسارية أو غزة ، فى قرية ثادن من قرى كورة غزة ، وانتصر عليها . وهناك خبر عن ارسال يزيد بن أبى سفيان قوة بقيادة أبى أمامة الباهلى ، ونشوب قتال بينه وبين الروم فى الدائنة بالعربة ظفر فيه العرب . هل جرى هذا القتال فى مسير يزيد بن أبى سفيان نحو البلقاء ؟ وهل أوفد شرحبيل بعد وصوله الى نهر الأردن أبا أمامة ؟ هذا ما نجهله . ويظهر من بعض الروايات أن عمرو بن العاص لقى مقاومة عنيفة فى جنوبى فلسطين ، فاضطر الى التراجع والوقوف فى غمر العربات انتظارا لورود المدد من المدينة . ومنها روايات تؤيد أن عمرو بن العاص أخبر أبا بكر بتجمع الروم ، وطلب منه النجدة فحدا ذلك أبا بكر أن يكتب الى خالد بن الوليد فى أن يترك العراق ، ويذهب لنجدة المسلمين فى الشام .

وليس من شك فى أن هرقل امبراطور الروم كان على علم من سير الحوادث فى

جنوبي الشام ، وكانت له عيون من العرب المتنصرة في الجنوب تخبر قادته في الشام بتقدم العرب وتغلغلهم في البلقاء وجنوبي فلسطين . وقد ذكرت المصادر الرومية أنه عاد الى سورية بعد مدة قصيرة من رجوعه الى القسطنطينية فاتحا ومنتصرا على الفرس . وكان لابد من تجهيز الجيوش للدفاع عن بلاد الشام ، فبعث جيشا بقيادة أخيه تئودور (تذارق العرب) من أنطاكية وحمص ، فتقدم هذا الجيش الى الجنوب ، فاصطدم هو وقوات المسلمين ووقعت أول معركة حاسمة بين المسلمين والروم .

أجمعت الروايات على أن المعركة وقعت سنة ثلاث عشرة الهجرية . والروايات التي تذكر وقوعها في جنوبي فلسطين في أجنادين تجعل تأريخ وقوعها شهر جمادى الأولى ، مع أن الروايات التي تشير الى وقوعها عند اليرموك تجعل تأريخ نشوبها شهر رجب . وهذه الروايات الأخيرة تقدم قتال فحل ومرج الصفر ومحاصرة دمشق وفتح حمص على معركة أجنادين ، على حين تجعل الروايات الأولى تلك الحوادث بعد معركة أجنادين ، أي بينها وبين يوم اليرموك .

والآن فلنناقش الموقف من الوجهة « الستراتيجية » . فان كانت الجيوش العربية تقدمت على ثلاثة طرق متوازية الى حد ما ووجهة حركاتها خط (بصرى ـ غزة) ، فكان ينبغي لها أن تتقدم في حذر وحيطة كلما توغلت في الشمال ، وتسعى الى أن تبقى خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب أمينة لضمان وصول النجدات اليها وللاحتماء بها عند الحاجة . وفي هذه الحالة ينبغي أن يقع أول اصطدام في الجنوب بين القدس والرملة ، لا في الشمال على ضفاف اليرموك . والروايات التي تزعم أن معركة أجنادين وقعت سنة خمس عشرة تشير الى أن المسلمين حاصروا دمشق وفتحوها صلحا ، ثم وصلوا الى حمص ففتحوها . ولما بلغ العرب خبر تجهيز هرقل للجيوش وارسالها نحو الجنوب ، تركوا حمص الى أهلها ، وتسحبوا من دمشق وتوجهوا الى الجابية ، ثم اجتمعوا في جنوبي فلسطين ، وتغلبوا في أجنادين على الروم . ويعني هذا أنهم جعلوا خطوط مواصلاتهم على جانبهم الأيسر ، وعرضوها للخطر ؛ لأنه ما دامت فلسطين بيد الروم ، وما دامت جيوش هرقل تستطيع أن تحشد فيها متى شاءت ، ففي استطاعتها أن تتوجه صوب الشرق ، وتقف بين جيوش المسلمين وبلاد العرب ، وبذلك تمنع عنها وصول المدد من جهة ، وتسد الطرق بوجه المسلمين اذا أرادوا الافلات والاحتماء بالصحراء .

لقد أسهبت الروايات في وصف معركة اليرموك ، وعدتها أعظم معركة وقعت في بلاد الشام ، وقد خصص بها مؤلف كتاب فتوح الشام الواقدي المزعوم فصلا طويلا

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات فى وصف معركة أجنادين والتى حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائعها بوقائع اليرموك .

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية فى بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية . ولما كانت فلسطين الهدف الأقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها . وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم . وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؟ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمرو ابن العاص يتريث فى المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبى سفيان ، ويستنجد بأبى بكر . تقدمت قواته فى بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشنت الغارة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب فى نفوس الأهلين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت فى غمر العربات ؟ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب . وفى هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقى دمشق ، فأغار على الغسانيين فى عيد فصحهم فى مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى .

ولعل القوات الرومية بقيادة تئودور كانت قد وصلت وقتئذ الى جلق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبرته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء . واذا أردنا أن نصدق الروايات التى جعلت فتح بصرى على يد أبى عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التى جعلت فتح بصرى على يدخالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبى سفيان فى جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص استعدادا لمواجهة الروم . وتمت هذه المواجهة فى أجنادين ، فكسر الروم فى المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتمى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا فى بيسان أولا ، وفى فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب فى هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؟ اذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية فى منازلة القلاع المستحكمة . ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التى أنجدتها حامية دمشق ، فى مرج الصفر . وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

فحاصروها . ولعل هـذا الحصار هو الحصار الأول لمدينة دمشق . أما الثـاني ، فهو الحصار الذي وقع بعد معركة اليرموك .

هكذا يتضح لنا من مجرى الحركات على هذه الصورة أن الجيوش العربية في قتالها للروم كانت تحرص دائما على أن تكون خطوط اتصالاتهـا وراء ظهرها ، ولم تتقـدم من فلسطين الى دمشق الا بعد أن طردت الروم منها . ولم تلاق كبير عناء في حصارها الأول لدمشق . وبعد أن تم لها فتح هذه المدينة ، توجهت نحو حمص من غير مقاومة تذكر . والروايات التي تشير الى وقوع قتال بين دمشق وحمص في أثناء حصار دمشق ، لعلها تشير الى محاولات رومية مخفقة استهدفت فك الحصار عن دمشق . ولم يك في استطاعة هرقل تجهيز جيش آخر بسرعة ، وقد نهكت حروب الفرس قواته ، وربكت خزانة الدولة ، وكان هذا الارتباك من الأسباب التي سهلت فتح العرب لبلاد الشام ، كما أشـار اليه المؤرخ البيزنطي تيوفانس مبينا أن عدم أعطيات المرتزقـة العرب جعل هؤلاء ينفرون من الروم ، وحملهم على مساعدة المسلمين . لهذا لم يستطع هرقل تجهيز جيش آخر الا سنة خمس عشرة الهجرية ، وذلك بجلب قوات من ارمينية ، والاستفادة من العرب المتنصرة بعد أن أكثر الأعطيات .

ومما يؤيد وقوع معركة أجنـادين قبل اليرموك أن الروايات العربيـة لم تذكر استرداد الجيوش الرومانية للمدن التي افتتحها العرب في زحفها من حمص الى دمشق ، ففلسطين ، لمقابلة العرب في أجنادين ، كمدن بصرى وبيسان وفحل وغيرها ، مما يدل على أن معركة سنة خمس عشرة الهجرية وقعت عند اليرموك ، لا في أجنادين .

يوم المعركة

تكاد الروايات تتفق على أن معركة أجنـادين وقعت في شـهر جمادى الأولى ، ولكنهـا اختلفت في يوم المعركة ، فذكر ابن اسحاق أن المعركة كانت لليلتين بقيتـا من جمادى الأولى ، وقال الواقدي : واليقين عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى ، وأيد ابن سعد في طبقاته هذه الرواية ؛ اذ ذكر أن عمرو بن سعيد قتل في يوم أجنادين في جمادى الأولى . أما المدائني ، فذكر أن المعركة وقعت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وقال البلاذري : ان المعركة وقعت يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ويقال : لليلتين خلتا من جمادى الأخرى ، ويقال : لليلتين بقيتا منه . ويؤكد اليعقوبي رواية ابن اسحاق والمدائني بقوله : « وقعة أجنادين كانت يوم السبت لليلتين بقيتـا من جمادي الأولى » . وأورد ابن حبيش أن أبا بكر توفي بعـد أجنادين

بأربعة وعشرين يوما . وهذا يؤيد روايتى ابن اسحاق والمدائنى . أما ابن عبدالبر ، فكرر ما ذكره اليعقوبى بقوله : ان أجنادين كانت فى جمادى الأولى قبل وفاة أبى بكر بدون شهر . وذكر الزهرى أنها وقعت فى جمادى الأولى . وروى أبو حذيفة اسحاق بن بشر أنها وقعت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى . وقال السيوطى : ان الوقعة كانت فى جمادى الأولى . وجاء فى تأريخ الخميس أن الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت ، ثم يشير الى رواية تذكر أن المعركة وقعت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وذكر ابن خلدون أن معركة أجنادين وقعت فى منتصف جمادى الأولى .

يظهر من هذه الروايات أن ابن اسحاق والمدائنى واليعقوبى وابن حبيش متفقون على تأريخ وقوع المعركة ، ويقول المدائنى واليعقوبى : انها وقعت يوم السبت . وفى الحقيقة أن تأريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية يصادف يوم السبت . أما البلاذرى ، فذكر ثلاثة تواريخ ، وجعل يوم الاثنين يصادف ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، مع أن يوم الأربعاء يصادف هذا التأريخ ، وتأريخ جمادى الآخرة سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الأربعاء كذلك . أما تأريخ ٢٨ جمادى الآخرة فيصادف يوم الاثنين . ولعل البلاذرى غير أسماء الشهور ؟ لأن تأريخ ١٨ جمادى الآخرة وتأريخ ٢ جمادى الأولى وتأريخ ٢٨ جمادى الآخرة من سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الاثنين . ولعل التأريخ الصحيح فيما كتبه البلاذرى ٢٨ جمادى الأولى ، لا ٢٨ جمادى الآخرة ، وهو يتفق مع رواية ابن اسحاق واليعقوبى والمدائنى .

فيتضح من كل ذلك أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية ، أى فى ٣٠ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية .

أين وقعت المعركة ؟

راجع الخارطة (٢)

واذا كان فى معرفة التأريخ الذى وقعت فيه المعركة بعض المشقة ، فان معرفة المحل الذى جرت فيه المعركة أشق . لقد جرت أكثر معارك الفتوح الأولى فى أماكن معلومة لم يطرأ عليها تبدل ما ، أو أنها ظلت مدة غير قصيرة من الزمن كذلك . وقد حدث بعض التحريف فى الأسماء سببه الخطأ فى النسخ ، كالياقوصة والفاقوصة والواقوصة ، من السهل تمييز الصحيح منها بمعرفة اسم المحل كما يذكره أهله . والغريب أن بعض المؤرخين لم ينتبهوا الى خطأ النسخ ؟ لهذا راحوا يفسرون معنى الاسم المكتوب خطأ ، ويحاولون أن يجدوا صلة بين ذلك الاسم المغلوط فيه وما وقع فى الحادثة ، فقالوا : سميت بالواقوصة ،

لأن الروم وقصت أعناقهم حين سقوطهم فى الهاوية ، على حين أن اسم القرية التى جرت فيها آخر صفحة من صفحات معركة اليرموك هى الياقوصة ، وما تزال موجودة ، لا الواقوصة كما كتبها المستشرقون خطأ . وكتب البلدان العربية مشحونة بتعليل تسمية الأعلام الجغرافية ورجع التسمية الى أصل عربى ، مع أن الأعلام المذكورة أسماء أجنبية ارامية أو فارسية لا صلة لها بالعربية .

جرت معركة اليرموك قرب نهر اليرموك ، واسم الجابية ما يزال يطلق على الرابية قرب قرية نوى ، كما أن مرج راهط الذى جرى فيه قتال بين خالد بن الوليد والغسانيين أطلق عليه بعد ذلك اسم عذراء ، ولعله مرج عذراء ، كما أشار الى ذلك ابن عساكر . وقرية عذراء أو عدرا ، ما تزال موجودة ، واقعة شرقى دمشق على طريق ضمير . واسم الغمر ما يزال فى خارطة فلسطين فى وادى العربة قريبا فى ملتقاه بالبحر الميت . أما المدن الأخرى التى حوصرت وفتحت كبصرى وقيسارية ، والتى وقع فيها القتال كبيسان وفحل ، فأعلام واضحة . ولكن أجنادين ومرج الصفر ليسا من الأسماء التى لها أماكن معلومة . ولا شك فى أن مكانهما كان معلوما لدى من شهد وقائعهما أو من ذكر خبرهما من الأخباريين الأولين . لهذا اكتفى المؤرخون بذكر اسمهما كما ورد فى الروايات من دون أن يتثبتوا من محلهما .

وقد اختلف أصحاب المعجمات فى اسم أجنادين ، فذكرها بعضهم بكسر الدال ، وآخرون بفتح الدال على صيغة التثنية . وكان محل أجنادين معلوما فى القرن الثانى الهجرى ، فان المسعودى ذكر أن نائل بن قيس قتل فى أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك [١] .

ونذكر الآن تعريف الرواة والمؤرخين لموقع أجنادين ، ونرى أنهم لم يتفقوا على المحل ، فقال بعضهم : انه فى جنوب دمشق ، وقال آخرون : انه فى الأردن . والذين قالوا انه فى فلسطين اختلفوا فى تعريفه . والروايات هى :

١ ـ قال ابن اسحاق : ان أجنادين بين اللد والرملة وبين جبرين [٢] .

٢ ـ وقال أبو حذيفة اسحاق بن بشر : ان أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين [٣] .

٣ ـ ذكر عبدالله البكرى فى كتابه معجم ما استعجم أن أجنادين على لفظ التثنية

---

(١) مروج الذهب ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٨ ، (٣/٤٢) .

(٢) الطبرى (٢/٦١٠) . (٣) معجم البلدان : مادة (أجنادين) .

كأنه تثنية أجناد : موضع من بلاد الأردن بالشام ، وقيل : بل بأرض فلسطين بين الرملة وجبرون .

٤ ـ وقال النويرى : ان أجنادين من فلسطين بين بيت جبرين واليرموك .

٥ ـ جاء فى تاج العروس شرح القاموس : أن أجنادين موضع مشهور بالقرب من دمشق الشام كانت فيه الوقعة العظيمة بين الروم والمسلمين .

٦ ـ جاء فى كتاب المؤتلف والمختلف لأبى زكريا يحيى النووى : قال بعضهم : أجنادين محل مشهور فى الشام بالقرب من دمشق .

٧ ـ جاء فى تاريخ الاسلام للذهبى استنادا الى رواية ابن اسحاق أن أجنادين بين الرملة وجرش[١] .

٨ ـ ذكر ابن خلدون أن أجنادين وراء الرملة شرقا[٢] .

٩ ـ جاء فى الاستيعاب عن الحسين بن عثمان الزيادى أن أجنادين فى فلسطين بين أبيال جبرين أو جبرون والرملة[٣] .

١٠ ـ فى لسان العرب لابن منظور : ويوم أجنادين معروف كان بالشام أيام عمر ، وهو موضع مشهور من نواحى دمشق ، وكانت فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم .

هذا ملخص المعلومات عن موقع أجنادين ، ويتضح منه أن المؤرخين المسلمين لم يتحملوا عناء البحث فى تثبيت موقع أجنادين . واذا كان للمؤرخين القدماء ، كالبلاذرى والطبرى واليعقوبى ، عذر فى ذلك ؛ لأنهم كانوا مقتنعين بأن المحل معروف لدى القراء ، ليس من حاجة الى تعريفه ، فليس لمن بعدهم هذا العذر ، ولاسيما أن الروايات التى استندوا اليها اختلفت كثيرا فى تعريف المحل ، وكان ينبغى لهم أن يقارنوا بين هذه الروايات ، ويتحققوا من محل أجنادين ، ويذكروا الرأى الذى توصلوا اليه ، بينما تراهم يكررون قول من سبقهم . والأغرب أنهم ذكروا الاختلاف كقولهم : « وقيل ان أجنادين فى فلسطين ، أو الأردن ، أو الشام » .

وسلك أكثر مؤرخى الغرب أيضا الطريقة نفسها ، فكوسن دى برسفال ذكر فى كتابه تاريخ العرب أن أجنادين واقعة غربى القدس مسافة ١٥ ـ ٢٠ ميلا[٤] .

---

(١) المجلد الأول (٣٧٥) .

(٢) المجلد الثانى (٨٥) .

(٣) الاستيعاب (٥١٩) .

(٤) انظر الى هامش (ص /٤٤٨) من المجلد الثالث :
Histoire Des Arabes: Coussin De Percival

وذكر فى (م ٣/٤٩٩) ، بعد أن قدم معركة اليرموك على معركة أجنادين ، أن أجنادين قرية فى غربى القدس بين الرملة وبيت جبرين .

أما المستشرق الانجليزى موير Muir ، فقال فى كتابه « الخلافة : قيامها وأفولها وسقوطها »[١] « ان الخصمين (العرب والروم) تقاتلا فى ميدان أجنادين المشؤوم بين الرملة وبيت جبرين يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية (٣١ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية) . يجوز اعتبار هذا التأريخ صحيحا . أما موقع أجنادين فقد اختلفت فيه الآراء ، فقيل انه فى شرقى الأردن ، وقيل : انه اسم لحون (مجدو) محرفا من كلمة (لجيونوم Legionum) اللاتينية ؛ لأن أجنادين مشتقة من كلمة جند (الجيش) العربية . والفرضية الأخيرة هذه تدل على أن جنوبى فلسطين كان قد فتح قبلا ، وأن المتحاربين كانوا يتقاتلون وقتئذ فى فلسطين الوسطى التى سميت فيما بعد جند الأردن . والاعتراض الرئيس الذى يوجه ضد الفرضية الأولى ترك الروم لأعدائهم أرضا واسعة ودفاعهم عن مناطق بعيدة سكن أغلبها البدو ، بينما كان ينبغى أن يحموا أخطر ناحية من نواحى الانبراطورية (أى فلسطين) » .

وقال دى غويه فى كتابه « مذكرة عن فتح سورية » : « ان عدم وجود اسم أجنادين فى خارطة فلسطين ، وروروده على شكل تثنية جمع جند (أجناد ـ أجنادين) ، جعل (هانبرج ـ Haneberg) يشك أن تكون أجنادين الترجمة العربية لكلمة (لجيو ـ Legio) أى (مجدو) القديمة . لقد ذكر جغرافيو العرب هذا المحل باسم (لجون ـ لجيونوم ـ Legionum) ، ولا ينكر أهمية هذا المحل فى مدخل مرج بنى عامر (سهل أزدريون) الذى كان له شأن فى تأريخ فلسطين العسكرى »[٢] .

وقال كيتانى : « ان هانبرج أخطأ فى اعتماده على مصدره الوحيد كتاب فتوح الشام المنسوب الى أبى اسماعيل الأزدى بجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك ، ولم يشأ أن يلتفت الى مصادر أخرى ، ولم يرغب فى ذلك . لقد فتش عن أجنادين فى أطراف دمشق ، ولهذا ظن أن معركة أجنادين وقعت فى أثناء حصار دمشق ، وافترض أن أجنادين تثنية جمع جند أى (جيش ، معسكر) ، ولاح له أنها تذكرة لاسم (Legio) الحصن الرومانى الشهير الذى ذكره أوسيبوس ، ويسمى الآن لجون . ويحتمل أن تكون مجدو القديمة قرب سهل مرج بنى عامر فى فلسطين الشمالية ولكنه استند فيما بعد الى

---

(١) The Caliphate : Rire, decline and fall. الطبعة الأخيرة ، (ص ٧٠) .

(٢) Mémoire sur La Conquete De Syrie (ص ٥٤) .

أسباب أخرى ، واستنتج منها أن موقع أجنادين يجب أن يكون فى شرقى الأردن ، ملاحظا أنه يشبه كثيرا كلمة (مخنايم) الواردة فى الكتاب المقدس التى تعنى جند ـ جندين ، أى معسكرين . ولما لم يتمكن من تثبيت المحل ظن أن موقع أجنادين يجب أن يكون بين حمص وبصرى ، خلافا للمصدر الذى اعتمد عليه[١] .

وذكر كيتانى فى هامش الصفحة الـ (٣٣) أن برنيتسه (Pernice) يرى أن معركة أجنادين هى المعركة التى سماها المؤرخ الأرمنى سبؤس معركة (ربوث موآب)[٢] . فأجنادين هى ربوث موآب . وبذلك تجنب جميع الدلائل الواردة فى المصادر العربية ، واعتمد على سبؤس وحده برغم انتقاده للغلطات والارتباكات الكثيرة فى كتابه . ويستند برنيتسه فى رأيه هذا الى ما زعمه هانبرج من أن أجنادين واقعة فى شرقى الأردن ، بينما لايوجد مصدر عربى وضع أجنادين فى شرقى الأردن . والذى أوقع برنيتسه فى هذا الخطأ الفاحش قول سبؤس : ان المعركة وقعت فى بلاد العرب ، بينما كلمة Arabia الواردة فى نصه لاتعنى بلاد العرب ، انما تعنى (العربة) التى ذكرها مؤرخو العرب حيث جرى فيها قتال بين الروم والعرب . لقد خلط سبؤس بين معركة العربة ومعركة أجنادين » .

ثم أشار كيتانى الى استنتاجات (فون سيتزن Von Seetzen)[٣] الذى ارتأى أن أجنادين شمال شرقى دمشق ، لوجود محل يشبه أجنادين لفظا يسمى جادين ، أو جيادين . ولكنه بعد أن علم أن الاسم الحقيقى هو (جب عدين) أخذ يفتش عنه شرقى جبل حوران ، أى على حدود البادية .

أما (وايل ـ Weil) ، فانه ـ بالرغم من استناده الى المصادر العربية المختلفة ـ أشار فى كتابه تاريخ الخلفاء الى أن موقع أجنادين ينبغى أن يكون شمال شرقى الرملة فى اتجاه الأردن .

وكذلك اكتفى مولر بما ذكره المؤرخون العرب .

ولنعد الآن الى ماجاء فى المصادر العربية ونوازن بينها ، لنتوصل الى الحقيقة فى تثبت موقع أجنادين . واذا أهملنا الروايات التى تجعل أجنادين فى الشام والأردن ، وقد رواها البكرى والنووى والزبيدى صاحب تاج العروس ، نرى أن الروايات الأخرى

(١) الجزء الأول : Annali Dell, Islam ص (٢٧/٣) .

(٢) Angelo Pernce مؤلف كتاب الامبراطور هرقليوس ، طبع فلورنسة سنة ١٩٠٥ . Raboth Moab قرية ربه الواقعة شمال الكرك شرقى البحر الميت .

(٣) حوليات الاسلام ، الجزء نفسه (ص ٢٧) .

تتفق على أن أجنادين فى فلسطين قريبة من الرملة ، كما جاء فى رواية ابن اسحاق وابن حذيفة ورواية البكرى الثانية وابن خلدون • أما رواية النويرى ، فقد جعلت أجنادين بين بيت جبرين واليرموك ، وبذلك قاربت الروايات الأخرى • وأما رواية الزيادى فى الاستيعاب فتجعلها بين أبيال جبرين وحبرون • واذ ليس هنالك موضع باسم أبيال جبرين فى فلسطين، ولا سيما فى جوار حبرون ، فلابد أن تكون كلمة أبيال قد حرفت بالنسخ من أبيات أو بيت ، فيكون الصحيح بين بيت جبرين وحبرون ، أى مدينة الخليل التى كانت تسمى قديما باسم حبرون ، وجاء ذكرها فى معجم البلدان لياقوت • ولعل كلمة جبرون الواردة فى رواية البكرى الثانية ، محرفة من اسم حبرون •

هكذا يتضح لنا أن الروايات كادت تتفق على أن أجنادين موقع بين الرملة وبيت جبرين ، أضف الى ذلك روايتين جعلتاه بين الرملة وحبرون ، فينبغى لنا اذن أن نفتش عن هذا الموقع فى مثلث رؤوسه الرملة وبيت جبرين وحبرون • على أن رواية ابن اسحاق التى ذكرها الذهبى تلقى بعض الضوء على كشف الموقع ، وقد جاء فى هذه الرواية أن أجنادين بين الرملة وجرش • ومن الطبيعى ألا تكون جرش هذه قصبة جرش الواقعة شرقى الأردن ، لأنه لايعقل أن تكون القصبة المذكورة أداة تعريف ، أولا لأنها بعيدة كثيرا عن الرملة ، ثانيا لوجود مواقع أخرى مشهورة كالقدس ونهر الأردن •• فلا بد أن تكون جرش الواردة فى الرواية موقعا آخر قريبا من الرملة • واذا نظرنا الى خوارط فلسطين القديمة ، ولاسيما الخوارط الحديثة أخص منها بالذكر (خارطة فلسطين مقياس واحد على مئة ألف المطبوعة فى دائرة مساحة حكومة فلسطين السابقة) نجد قرية تسمى « جرش » بين لطرون وبيت نتيف ، أى جنوبى شرقى الرملة على بعد خمسة وعشرين كيلومترا • ولا يستبعد أن الرواية تشير الى هذه القرية بحيث يصح أن تكون واسطة تعريف لموقع أجنادين • وجاء فى رواية النويرى أن أجنادين بين بيت جبريل واليرموك • أما كلمة جبريل فمحرفة من جبرين • وأما اليرموك ، فلا يمكن أن يكون نهر اليرموك ؟ لأنه بعيد جدا عن بيت جبرين ، ولأنه توجد مواقع شهيرة كنابلس وجنين وبيسان بل حتى طبرية ، بين نهر اليرموك وبيت جبرين • لهذا يجوز أن يكون اليرموك هذا اسما لموضع يسمى « يرموك » قريبا من الرملة • وفى هذا الصدد أيضا تساعدنا فى البحث خوارط فلسطين القديمة والحديثة ، لأنه توجد خربة فى شمال بيت نتيف تدعى يرموك أو يرموث ، وهى واقعة الى جنوب غربى جرش على مسافة خمسة كيلومترات ، والى

شمال غربي بيت جبرين على مسافة خمسة عشر كيلومترا • وسنرى فيما توصل اليه دى جويه ، والمستشرق الروسى مدنيكوف ، أن وجود هذا الموضع بالقرب من أجنادين أدى الى ارتباك المؤرخين القدماءفى خلط معركة أجنادين بمعركة اليرموك • • ويرموك » هذا ، موقع قديم ، ورد ذكره فى سفر يشوع فى العهد القديم باسم يرموث كما جاء فى الاصحاح العاشر ، الآية الرابعة : « فأرسل ادوين • صادق ملك أورشليم الى هوهام ملك حبرون وفيرام ملك يرموث » • والاصحاح الخامس عشر ، الآية (٣٥) ؛ « وزانوح وعين جنيم وتفوح وعينام ويرموث » ، والاصحاح الواحد والعشرين ، الآية (٢٩) : « ويرموث ومسرحها » • ومن السهل قلب يرموث الى يرموك فى الاستنساخ • ويجوز أن اسم يرموث انقلب الى يرموك مع الزمن ، فكانت القرية فى زمن الفتح تسمى اليرموك •

وذكر كيتانى فى الهامش من الصفحة (٢٩) من الجزء الأول من المجلد الثالث لكتابه الآنف الذكر أن الأستاذ (نلينو) لفت نظره الى أن فى بعض الخوارط الحديثة جاء اسم خربة يرموق بالقاف بدلا من يرموك بالكاف •

واذا صح هذا الاستنتاج ، أى أن جرش الواردة فى رواية ابن اسحاق هى قرية جرش الواقعة الى جنوبي اللطرون ، وأن يرموك الواردة فى رواية الدويرى هى خربة يرموث الواقعة الى شمالى بيت تتيف ، وجب أن نبحث عن موقع أجنادين فى المثلث الواقع بين الرملة وجرش وبيت جبرين •

والآن نذكر ما توصل اليه دى جويه من بحث مستفيض فى كتابه « مذكرة عن فتح سورية » • والحق انه أول من بحث بتدقيق وانعام نظر فى موقع أجنادين ، فقد الروايات ووازن بينها ، واستند الى مجرى الحوادث ، معتمدا على أصح الروايات وأوثقها سواء أكانت اسلامية أم أجنبية ، وانتهى من بحثه الى تثبيت المنطقة التى ينبغى أن يقع فيها موقع أجنادين •

قال دى جويه : « ان هناك ثلاثة افتراضات يجب أن نختار أحداها[1] •

الفرضية الأولى : تفترض أن أجنادين فى ضفة الأردن الشرقية • ومن الداعين اليها هانبرج • وقد حاول أن يجعل أجنادين فى شرقى حوران ، واستند فى محاولته الى كتاب فتوح الشام الذى طبعه Lees فى كلكتة الخطأ الى الواقدى • واذا صح زعم هانبرج وجب أن تنشب المعركة على حدود سورية الشرقية ، وفى هذه

---

[1] مذكرة عن فتح سورية ص (٥٢ و ٥٣) •

الحالة تضبح خطة العرب الحربية ، وكذلك خطة الروم غير مفهومة ؟ لأن الحدود المذكورة كانت دائما معرضة للغارات البدوية . وقد ناط الروم أمر الدفاع عنها بالعرب القاطنين فيها ؟ فضلا عن أن أهلها ، وهم سكان حوران والبلقاء ، كانوا يميلون الى العرب ؟ لهذا كيف يفترض أن الروم يرسلون خيرة جنودهم للدفاع عنها ، ويتركون فلسطين مفتوحة بوجه العرب وهم يعلمون أن العرب في حربهم هذه يستهدفون فتح البلاد واحتلالها لا غزوها ؟ والعرب يفضلون ارسال قواتهم اليها ، بدلا من أن يحشدوها في حوران والبلقاء ؟ لأنهم يعلمون أن فتح فلسطين يجعل تلك البلاد في قبضة يدهم بلا قتال .

أما الفرضية الثانية ، فتفترض أن أجنادين في عمالة الأردن ، وهي شمال فلسطين . وكان سبب ذلك أن خوارط فلسطين لا تذكر اسم أجنادين . ومن المتحمسين لهذه الفرضية هانبرج أيضا ، وافترض ، كما قلنا من قبل ، أن أجنادين تثنية أجناد ، جمع جند ، وهي ترجمة Legio اللاتينية التي تعني الجند ، أي مجدو القديمة .

وقال دي جويه : ان رواية البلاذري قد تؤيد هذه الفرضية ، اذ ذكر البلاذري : « أن أول الناس الذي حاصر قيسارية عمرو بن العاص . نزل في جمادى الأولى سنة ٦٣ هـ ، فكان يقيم عليها ما أقام ، فاذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم ، سار اليهم ، فشهد أجنادين »[1] .

يظهر من ذلك أن عمرو بن العاص ذهب من قيسارية الى أجنادين ، فتكون أجنادين وقتئذ من عمالة الأردن ، أي في شمال فلسطين . واذا صحت هذه الفرضية ، فينبغي التفتيش عن غمر العربة في شمالي فلسطين بدلا من جنوبها ؟ لأن أكثر الروايات تؤيد انتصار عمرو بن العاص في غمر العربات قبل مجيء خالد وذهابه منها الى أجنادين ، بينما يقع غمر العربة في غور فلسطين قريبا من ملتقى البحر الميت بوادي العربة . أضف الى ذلك أن فتح أجنادين مهد لسقوط غزة ، لا سقوط قيسارية .

وأما الفرضية الثالثة : فهي التي توافق رواية ابن اسحاق التي جعلت أجنادين بين الرملة وبيت جبرين . وهي تتفق تمام الاتفاق مع سير الحركات في جنوبي فلسطين قبل نشوب معركة أجنادين . وقد أشرنا من قبل الى مجرى الحركات فيها وكيف أنها انتهت الى اجتماع الجيوش العربية في أجنادين . وذكر دي جويه اجتماع الروم في ثنية جاق كما جاء في رواية سيف بن عمر في تاريخ الطبري جعل مسيره نحو

(١) فتوح البلدان (١٤٦) .

أجنادين . وقال سيف بن عمر : « وأرسل هرقل الى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه ، فخرج نحوهم فى تسعين ألفا ، وبعث من يسوقهم ، حتى نزل صاحب الساقة فى ثنية جلق بأعلى فلسطين » . وقد حاول دى جويه أن يفتش عن موقع جلق فى شمالى فلسطين شمال الخط الذى يصل بيسان بقيسارية ، وقال : انه من المشكوك فيه أن يكون فى هذه المنطقة ، ثم ذكر الرواية التى تجعل جلق فى قرب دمشق كما جاء فى شعر حسان ابن ثابت :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الأول

وأراد أن يجعل جنين محرفة من كلمة جلق ، وجنين واقعة ـ كما نعلم ـ شمالى نابلس ، فى المنطقة الجبلية التى تسيطر على مرج بنى عامر . وقال : ينبغى أن تكون ثنية جلق هنا . وذكر ان هذا التحريف أمر طبيعى لدى النساخ[1] .

وقال دى جويه : ومما يؤيد أن أجنادين فى جنوبى فلسطين شعر زياد بن حنظلة :

ونحن تركنا أرطبون مطيرا الى المسجد الاقصى ، وفيه حسور

عشية أجنادين لما تتابعوا وقامت عليهم بالعراء نسور

وأرطبون هذا : قائد الروم فى أجنادين . ولأجل أن تنسحب فلول الروم بعد المعركة الى القدس « المسجد الأقصى » ، ينبغى أن يكون ميدان القتال واقعا غربى المدينة ، أو الى جنوبى غربيها ، أى فى جنوب فلسطين لا فى شمالها . واليك هذا يؤيد ما ذكره أوطيخيوس أن عمرو بن العاص دخل كورة غزة بعد مجيئه من المدينة . ولما رأى أن قواته لاتكفى لفتح المدينة ، كتب الى أبى بكر ، وطلب اليه ارسال النجدة ، فأمر أبو بكر خالدا بالذهاب الى الشام . ولما انضم هذا القائد الى عمرو ، حاصر مدينة غزة ، وبعد مفاوضات مخفقة جابه فى أثنائها خطرا كبيرا لم يتخلص منه الا بفراسة

(١) لم ينتبه دى جويه الى أن جلق قد تكون محرفة من جاين ، وهى قرية واقعة جنوبى تل الجابية على بعد عشرين كيلومترا يمر بها طريق (دمشق ـ أذرعات) ، ويهبط منها الى أعالى وادى اليرموك مجتازا عقبة أوثنية . ولابد ان جيش تذارق قد نزل بالجابية مترقبا أخبار جيوش المسلمين . وقدم صاحب الساقة الى قرية جلين أو جلق ، ولما تأكد أن المسلمين يحتشدون فى الجنوب بغية الدخول فى فلسطين ، ترك الجابية واجتاز نهر الأردن ، ودخل شمالى فلسطين ، فانضمت اليه قوات من قيسارية ، ثم تقدم نحو أجنادين . ويظهر من رواية سيف بن عمر أن صاحب ساقة تذارق نزل بجلين ، أو جلق ، لمراقبة قوات المسلمين فى البلقاء ، وحماية القسم الأكبر من جيش الروم حين اعتزامه المسير نحو فلسطين . وبنظرنا أن هذا الاستنتاج يوافق مجرى الحركات العسكرية . ولما كان الاسم ورد فى بيت حسان بن ثابت « جلق » لا « جلين » فلا يستبعد أن يكون بمرور الايام تغير الى جلين .

مولاه وردان ، وقعت معركة فى أجنادين منى الروم فيها بهزيمة نكراء ، والتجأت فلولهم الى القدس وقيسارية .

ويشير دى جويه بعد ذلك الى رواية سعيد بن عبدالعزيز التنوخى نقلا عن البلاذرى [١] جاء فيها : أن المسلمين اجتمعوا عند قدوم خالد على بصرى ، ففتحوها صلحا ، وانبثوا فى أرض حوران جميعا ، ثم مضوا الى فلسطين والأردن . ثم قال دى جويه : « اذا كان هدف المسلمين غزة وفلسطين ، فيتوقع أن تنشب المعركة أيضا فى فلسطين . ويؤيد ذلك شعر زياد بن حنظلة من جهة ، وما ذكره أوطيخيوس من جهة أخرى » . ثم أشار الى الارتباك الذى أوقع مؤرخى المسلمين فى الخلط بين معركة اليرموك ومعركة أجنادين ، وتقديمهم الواحدة على الأخرى ، الى أن قال : « ان سيفا (سيف بن عمر) جعل معركة (اليرموك ـ الياقوصة) المعركة العظيمة الأولى التى وقعت فى سورية ، بدلا من معركة أجنادين ، استنادا الى روايات قديمة مازلنا نرى آثارها لدى البلاذرى والمدائنى ، بالرغم من أنهما قدما معركة أجنادين على معركة اليرموك سنتين ؛ لأنهما يتحدثان عن مناوشة جرت فى الياقوصة بعد معركة أجنادين بمدة قصيرة » .

نذكر رواية البلاذرى التى ذكرها دى جويه آنفا : قال البلاذرى : « قالوا ثم جمعت الروم جمعا بالياقوصة ، والياقوصة واد فمه الفوارة ، فلقيهم المسلمون هناك »[٢] .

ثم يقول دى جويه : « وقعت معركة الياقوصة فى المكان الذى ينصب فيه وادى الياقوصة فى وادى اليرموك . وكان من أمر ذلك أن المعركة سميت تارة باسم النهر ، وتارة أخرى باسم الوادى . لقد وجد هذان الاخباريان فى بعض الروايات التى استندا اليها خبر معركة الياقوصة . ولأجل أن يحافظا على تأريخ وقائعهما من جهة ، ويظلا متمسكين الى حد ما بتلك الروايات من جهة أخرى ، سوغا لأنفسهما ـ بتمحيص غريب بعض الغرابة ـ أن يجعلا من معركة واحدة معركتين ، وأن يسميا كلا منهما بأحد الاسمين الواردين فى الروايات المذكورة . وفضلا عن أنه يستبعد جدا أن ينشب قتال مرتين فى محل واحد ، فانه يستحيل جغرافيا وقوع المعركة فى الياقوصة بين معركة أجنادين ومعركة فحل . أضف الى ذلك انه ليس هنالك سبب ما يؤيد افتراض وجود نهرين أو واديين بالاسم نفسه .

ويظهر من ذلك أن الرواية التى تشير الى أن معركة اليرموك وقعت هنا ، هى

(١) فتوح البلدان (١٣٢) . (٢) فتوح البلدان (١٢١) .

رواية قديمة جدا ، فلا يصح أن تعد محض تلفيق ابتدعه سيف . ولكى ترى كيف نشأت تلك الرواية ، أذكر ما تراءى لى فى هذا الصدد فأقول : جعل ابن اسحاق موقع أجنادين بين الرملة وبيت جبرين . أما البكرى ، فقد جعله بين الرملة وحبرون (جبرون) . ويوجد موقع يرموث القديم قرب هذين الموقعين ، وهو موقع كان يسمى فى عهد أوسيوس وجيروم (يرموقا) حيث عده (روبنصن) الموقع الذى نشبت فيه معركة اليرموك (١) .

ثم قال دى جويه : « اذا قبلنا أن أجنادين واقع قرب يرموث ، أمطنا اللثام فورا عن الغموض الذى أحاط بالأمر . هكذا يتضح لنا كيف أن معركة أجنادين اختلطت ، أو كادت تختلط بمعركة اليرموك . فيتجلى لنا لماذا ذكر أحد المؤرخين أن البطل الفلانى استشهد فى معركة اليرموك ، بينما قال مؤرخ آخر ان ذلك البطل استشهد فى أجنادين » .

وبعد أن أشار دى جويه الى ما أورده البلاذرى من أسماء بعض الصحابة المعروفين الذين قتلوا فى أجنادين ، أورد قول البلاذرى : « ويقال انهم قتلوا فى اليرموك » . وينظر دى جويه ان استبدال يرموك بيرموث ، كان من أهم الأسباب التى أدت الى الارتباك الغريب فى تأريخ وقائع فتوح الشام (٢) .

ويستدل مما سبق على أن الساحة التى جرت فيها معركة أجنادين ينبغى أن تكون فى المثلث الذى يؤلف رؤوسه كل من موقع الرملة وجرش وبيت جبرين ، وألا تكون بعيدة عن خربة يرموك . ومما يلفت النظر أن الجوارط القديمة والحديثة التى ذكرت قرية جرش وخربة يرموث — ويرجع عهد هذا المكان الى قبل عهد يشوع — لم تشر الى أجنادين .

ترى أأطلق العرب كلمة أجنادين على يوم من أيامهم جرى فيه القتال بينهم وبين الروم ، جريا على عادتهم فى الجاهلية فى تسمية الأيام أم هى كلمة محرفة من عمل النساخ ؟ . وقد تراءى لدى جويه هذا الظن فى كتابه ، فقال : « كنت أرى قبلا أنه من الجائز أن أجنادين اسم جنس صيغ من تثنية جمع جند ، مضاف الى وقعة أو يوم انطباقا على قاعدة جمع الجموع فى اللغة العبرية كخماتيم (الجدار المضاعف) وكما هو شائع فى اللغة العربية . فيوم أجنادين قد يعنى وقتئذ المعركة التى جرت بالجيشين المجتمعين ، جيش الشام وجيش العراق ، الا أن هذا الظن خطأ ؛ لأن أجنادين فى

(١) مذكرة عن فتح سورية (٥٨ و ٥٩) .
(٢) مذكرة عن فتح سورية (٦٠) .

هذه الحالة لايمكن أن تستغنى عن حرف التعريف (يريد أن يقول يوم الأجنادين) ، أضف الى ذلك أن كلمة أجنادين أو أجنيادين لم ترد بشكل اسم خاص في شعر زياد ابن حنظلة وفي شعر كثير ـ كما ذكره ياقوت والبكري[1] فحسب . ولكن ذكرها المسعودي في كتابه مروج الذهب حينما يقول : ان نائل بن نيس قتل في وقعة أجنادين في فلسطين في عهد عبدالملك »[2] .

يعتقد كيتاني أن المستشرق الروسي ميدنيكوف هو أول من كشف السبب الذي وضع اسم أجنادين ، وخلاصة ما ذكره كيتاني من كشف ميدنيكوف هي : أن ميدنيكوف استند في بحثه الى ما توصل اليه دي جويه من أن المعركة ينبغي أن تجري قرب خربة يرموث أو يرموك ، واستشهد بخارطة دليل فلسطين ليدبكر ، وقال ان الخربة تقع في جوار ملتقى الطرق الممتدة بين غزة وبيت جبرين وبين بيت جبرين والقدس وبين بيت جبرين واللطرون والرملة . ويمتد وادي السمط في جنوبي الخربة ، وهو يؤلف خط دفاع بين المعسكر العربي والمعسكر الروماني ؛ لأن الروم بواسطة هذا الخط الدفاعي يحتفظون بخطوط مواصلاتهم سواء بالقدس أو باللد أو بقيسارية التي كانت من أهم المراكز العسكرية في فلسطين .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم وعسكر الروم في شمال الوادي قرب خربة يرموك . وفي جنوب الوادي موقعان وهما الجانبة الغربية والجانبة الشرقية ، والطريق يمر بين بينهما ، وارتفاع الأولى (٩٥٠) قدما ، وارتفاع الثانية (١٢٤٥) قدما . أما ارتفاع خربة يرموك فهو (١٤٦٥) قدما . وقد عسكر الروم في هذا الموقع المسيطر المشرف على وادي السمط ، فجعلوا خط الاتصال بالقدس وبقيسارية على جانبهم .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم سموا المعركة بمعركة الجانبتين ، كما استعملوا كلمة الأبانين في تسمية الجبلين الواقعين في نجد ، وكما سموا الأشمونين في مصر للدلالة على تثنية أشمون . ويضيف كيتاني قائلا : « لهذا توصل ميدنيكوف الى افتراض موفق عبقري بافتراضه أن اسم أجنادين يمكن أن يكون من خطأ النساخ الذين وجدوا كلمة الجانبتين بغير علامات . ولما كانوا يجهلون محل هذين الموقعين ، قلبوا الكلمة الى أجنادين . وهذا ارتباك تسهل معرفته

(١) شعر كثير المذكور في كتاب معجم ما استعجم للبكري هو :
فلا تكن بالشام داري مقيمة فان بأجنادين كفي ومسيكتي

(٢) مذكرة عن فتح سورية : (ص ٥٩ و ٦٠) .

اذا ما كتبت الكلمات بحروف من غير علامات »[١] .

ثم قال كيتاني ما يلي : « اذا صح أن أجنادين تحريف الجنابتين ، لزمنا ـ خلافا لبدي جويه ـ أن نفضل كتابة أجنادين (بفتح الدال) على أجنادين (بكسر الدال)[٢] .

وأخيرا يلخص كيتاني بحثه المسهب عن موقع أجنادين ، فيقول : « انه قد جمع كل المواد المتعلقة بالقضية ، وقد يتجلى للدارس الأمور الآتية التي لا يسعه أن يبدي في شأنها انتقادا ما :

(١) أن اسم أجنادين غير قياسي ، ولا بد أن يكون محرفا ، كما حرف النساخ كلمة ياقوصة الى واقوصة .

(٢) أن معلومات المصادر كلها ، باتفاق أكثرية المطلعين الموثوق بهم ، تجعل معركة أجنادين في جوار خربة يرموك وبيت جبرين .

(٣) يوجد في طرف ميدان المعركة موقعان يسميان بالجنابة ، تثنى بالجنابتين ، واذا ما كتبت هذه التثنية بغير علامات أشبهت كثيرا كلمة أجنادين .

ثم يقول : لكل امرىء أن يختار النتائج التي يفضلها . واذا كان افتراض ميدنيكوف خاطئا ، فان ذلك لن يضعف قيمة النتيجتين الأخريين » .

وصف طبغرافي للأرض التي نظن أن المعركة وقعت فيها

(راجع الخارطة ٣)

ولما أنهى بدي جويه بحثه التاريخي والجغرافي الثمين عن معركة أجنادين ، قال : ان درس حالة الأرض في جوار خربة يرموك يميط اللثام عن الموضع الذي جرت المعركة فيه ، ويكشف عن كلمة أجنادين أهي استنساخ عربي للاسم الروماني القديم (اجنابتون) أم هي ترجمة[٢] .

وذكر كيتاني أن مشاهدة الأرض وتدقيقها توصلان الباحث الى التأكد منها هل كانت صالحة لنشوب معركة فيها؟ وقال : إنه فكر مرات أن يذهب لمشاهدة الأرض ، ثم حاول ذلك ولكنه لم يوفق ، لهذا رجا من المستشرق جوزيف هورويج الذي زار الشرق سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ م ، أن يدرس حالة الأرض ، فشاهد هذا المستشرق الأرض سنة ١٩٠٦ م ، ودرسها ، وأخذ تصويرها ، ثم كتب الى كيتاني يقول : ان نظرة يلقيها

(١) هامش (ص ٣٣) .

(٢) حوليات الاسلام . الجزء الأول من المجلد الثالث (ص ٣٣) .

المرء على الأرض تجعله يقتنع كل الاقتناع أنها صالحة جدا من الوجهة الطبغرافية والعسكرية لنشوب معركة فيها ، وبذلك أيد ما وصل اليه دى جويه وما استنتجه ميديكوف • فأبدى كيتانى بعض الملحوظات العسكرية ، وتساءل : هل حالة الأرض مساعدة لنشوب معركة كبيرة فيها ؟ ويجيب أن ما وصفه هورويج وما جاء فى الصور وما رسم فى الخارطة يؤيد ذلك • فحالة الأرض تصلح لحركة قوات كبيرة فيها ، وهى متموجة غير وعرة ، تتحرك الخيالة فيها بسهولة • ويمر وادى السمط من المثلث الذى تؤلف رؤوسه خربة يرموك والجنابة الشرقية والجنابة الغربية ، ويجرى موازيا لها • وهو عريض تسيطر عليه خربة يرموك ، رأس المثلث ، فى محل مركزى فى وسط الطرق • والأرض بين الخربة والوادى متموجة ومسودة بأدغال ، والآثار الباقية تدل أنها كانت مسكونة فيما مضى • وخربة يرموك واقعة فوق رابية على جانب المرتفع • وتمتد هضبة متموجة الى الجنوب نحو الوادى ، وتتخللها تلول صغيرة • ويمكن الجزم أن الروم احتلوا هذه الهضبة المسيطرة على وادى السمط الممتد من الشرق الى الغرب • والموضع قوى ، يستر خطى المواصلات فى جانبيه •

وفى الضفة الجنوبية للوادى يمتد خط مؤلف من رواب تقوم أنقاض الجنابتين فى جانبيه • والجنابة الغربية أقل ارتفاعا من الجنابة الشرقية ، وهى واقعة على هضبة واسعة ، الحد الغربى لوادى السمط • واذ أن الروم أتوا من الشمال ، والعرب تقدموا من الجنوب ، فيقتضى أن يكون خط الروابى المرتفع بين الجنابتين الموضع الذى احتله العرب قبل المعركة ؛ لأنه يسهل الدفاع عنه ضد الروم من جهة ، ويصلح من جهة أخرى للهجوم على موضع الروم •

ثم يقول كيتانى : اذا كانت هذه الاستنتاجات صحيحة ، يستنبط منها أن انتصار العرب طور الحركات الحربية من الجنابتين نحو الشمال الى وسط الوادى ، ثم امتدت حتى موقع يرموك (١) •

النتيجة

أثبتنا فيما سبق كل ما قيل عن أجنادين ، ووازنا بين الروايات ، وانتهينا من بحثنا الى أن معركة أجنادين وقعت بين الرملة وبيت جبرين قرب خربة يرموك ، ورأينا أن دى جويه وكيتانى بحثا الموضوع بعناية ودراية ، وأن المستشرق الروسى ميديكوف أيد رأى دى جويه ، وزعم أنه كشف سبب تسمية العرب للمعركة بأجنادين • وقد أيده

(١) حوليات الاسلام : الجزء الأول من المجلد الثالث (٣٤ ، ٣٨) •

كيتانى فى زعمه هذا الى حد ما .

أما أن المعركة وقعت فى فلسطين ، فلا شك فى ذلك ، ونقصد بفلسطين هذه القسم الجنوبى من فلسطين ، أى القسم الواقع جنوبى خط يوصل القدس بقيسارية ؛ لأن العرب سموا البلاد الواقعة شمالى هذا الخط بالأردن . فطبرية وبيسان ونابلس وقيسارية وعكا من الأردن ، وغزة وعسقلان وبيت جبرين وحبرون واللد والرملة من فلسطين . والذى يفهم من الروايات العربية المتضاربة والأخبار الرومية والسريانية ، ولاسيما ما كتبه أوطيخيوس ، أن عمرو بن العاص دخل فلسطين من الجنوب ، وتقدم فى كورة غزة ، ونشب قتال بينه وبين بطريق غزة . ولما تأكد أن الروم أقوياء تسحب الى الغمر فى غور العربة ، وطلب النجدة من أبى بكر . أما الروم ، فلما بلغهم أن العرب توغلوا فى جنوبى فلسطين ، وأنهم يستهدفون الفتح لا الغارة ، اهتموا للأمر . ولابد أن بطريرك القدس استنجد بهرقل ، فبعث هذا أخاه تيودور على رأس قوة على أن تنضم اليه بعض الحاميات المرابطة فى أنحاء فلسطين .. فسار هذا بجيشه من حمص حيث كان هرقل ، وأرسل من يسوق قوته حتى نزل صاحب الساقة بنية جلق . وهذا الموقع هو ـ كما ذكرنا آنفا ـ فى جنوبى الجابية على طريق (دمشق ـ اذرعات) . ولعل صاحب الساقة كلف مراقبة قوات يزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة فى شرقى الأردن . ثم أتى خالد بن الوليد بجنده من العراق ، واجتمع بتلك القوات ، وبعد فتحة بصرى تقدم نحو الجنوب على رأس القوات المذكورة ، والتقى بجند عمرو بن العاص فى الغمر .

ولا يستبعد أن جيش الروم مكث مدة من الزمن قرب الجابية يراقب حركة جيش خالد . ولما علم أن خالدا سار نحو الجنوب ، ترك الجيش الرومى الجابية هدفه فلسطين ، فاجتاز الأردن ، وتقدم الى وسط فلسطين . وكان هدفه الأول حماية القدس وبيت لحم ، فوصل الى الخط الذى يوصل القدس بالرملة ، وارتأى قائده الوقوف فى أطراف خربة يرموك شمال وادى السمط ، وبذلك يكون قد اختار موضعا مركزيا لسد الطرق بوجه المسلمين اذا أرادوا التقدم نحو القدس أو نحو قيسارية قاعدة البلاد . وفى هذا الموضع تلتقى الطرق الرومانية القديمة . ولما رأى قائد الجيش الرومى صلاح هذا الموضع للدفاع والهجوم ، عسكر فى الهضبة الممتدة جنوبا نحو وادى السمط جاعلا طريق القدس على جانبه الأيسر ، وطريق (الرملة ـ قيسارية) على يمينه . وبذلك يكون قد اختار « موضعا جنبيا » كما يعبر عنه فى المصطلحات العسكرية ؛ لأنه يسد جميع الطرق القادمة من الجنوب ، ويضطر العدو الى مهاجمته ،

ولا يمكن للقوات العربية أن تترك الجيش الرومي على جانبها ، وتتقدم نحو القدس أو فيسارية .

ويلوح لنا أن الجيش الرومي سبق القوات العربية في احتلاله هذا الموضع ؛ لأن الطريق بين الجابية وخربة يرموك أقصر كثيرا من الطريق التي قطعها خالد ، مجتازا شرق الأردن من الشمال الى الجنوب ، حتى وصل الى الغور في جنوبي البحر الميت ، واجتمع بجند عمرو بن العاص في وادي العربة . ثم سارت القوات جميعها نحو الشمال الشرقي ، فتجنبت المدن الحصينة كحبرون وغزة وغيرها ؛ لأن الروايات لم تسهب في فتح مدن فلسطين قبل معركة أجنادين . أما ما ورد من أخبار فتوح بعض المدن قبل أجنادين ، فلا بد أنها تخص فتوحات وقعت بعد الانتصار . وأخيرا تقدمت القوات العربية شمالا ، ولما وصلت جنوب وادي الصمت ، عسكرت في الهضبة الجنوبية ، وجعلت الوادي ستارا لها . ولعل القادة العرب قد استخبروا من أهل البلاد عن حركة الجيش الرومي ، وعلموا أنه يعسكر في الشمال ، وتؤيد ذلك رواية الطبري ، اذ قال : « فخرج (عمرو بن العاص) حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم »[1] .

ان من ينظر الى خارطة فلسطين (مقياس ١٠٠٠٠٠ : ١) ، وكذلك الخارطة المفصلة (مقياس ١٠٠٠٠ : ١) ، ويدرس حالة الأرض وأوصافها الطبغرافية على طرفي وادي الصمت ، يتبين له صلاح تلك الأرض للقتال في الدفاع وفي الهجوم على حد سواء .

الى هنا يستمر البحث منسجما أقرب ما يكون الى الواقع ، ومنطبقا على المقتضيات العسكرية . انما الذي لايدعو الى الاطمئنان زعم ميدنيكوف أن أجنادين محرفة من الجابيتين ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) اذا صح هذا التعريف ، يكون قد وقع في زمن متقدم جدا ؛ لأن كلمة أجنادين وردت في جميع المصادر العربية القديمة بلا استثناء ، ولاسيما رواية اليعقوبي الباحثة عن مقتل ناتل في زمن عبدالملك ، فانها تشير الى أجنادين نفسها .

(٢) ينبغي أن تكون قريتا الجابية الشرقية والجابية الغربية موجودتين في زمن الفتوح ، والواقع أن كلمة جابية عربية ولا يوجد في المعجمات الجغرافية القديمة موقع جابية في فلسطين ما عدا الجابية الواقعة في بلاد فارس كما ذكرها ياقوت في معجمه قائلا : بلدة صغيرة من سواحل فارس .

(٣) لا نظن أن القرى العربية قد انتشرت كثيرا في فلسطين في زمن الفتوح .

---

(١) تاريخ الطبري (٣/١٠١) .

ويلوح لنا أن القريتين المذكورتين أقيمتا بعد الفتح حينما استوطن العرب فلسطين .

لهذا لا نتفق مع ميدنيكوف وكيتانى على أن كلمة أجنادين محرفة من الجنابتين ، ويبدو لنا أن الاستدلال الأقرب الى الواقع ما ارتآه دى جويه من أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، بالرغم من أنه عدل عن رأيه هذا مستندا الى أنه كان ينبغى أن يسبق الاسم حرف تعريف ، كقولك يوم الأجنادين ، أو وقعة الأجنادين ؛ ولأن اليعقوبى أشار الى مقتل تاتل فى أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك ، مما يدل على أن هذا الموقع كان موجودا فى فلسطين فى ذلك العهد .

وبالرغم من صدوف دى جويه عن هذا الرأى يلوح لنا أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، وسببه أن المعركة وقعت لأول مرة بين العرب والروم ، واشترك فيها من جانب العرب أربعة أجناد : أى جند خالد ، وجند عمرو بن العاص ، وجند يزيد بن أبى سفيان ، وجند شرحبيل بن حسنة . واذا كانت العرب اشتركت بأجنادها ، فقد ظهر للعرب أن الروم أيضا اشتركت بأجنادها : أى جند قيسارية ، وجند غزة ، والجند الذى جهزه هرقل بقيادة أخيه تيودور . ولا شك فى أن المعركة كانت أول اصطدام بين العرب والروم بقوات كبيرة لم يسبق لها مثيل . والروايات العربية مجمعة على أن الجيش العربى كانت عدته أربعة وعشرين ألفا ، وقيل : سبعة وعشرين ألفا . واشتركت الروم بخيلها ورجلها وبطارقتها وقسيسيها .

وقد سبق أن سمى العرب بعض أيام حروبهم بأسماء لا تدل على محل ، انما تدل على سبب القتال أو وصف القتال ، أو ما وقع فيه من حالات ، كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم الزويرين ويوم الشقيقة ويوم الصفقة وحرب حاطب . وكذلك فعلوا فى عهد الفتوح ، ففى القادسية مثلا سموا معاركها بيوم أرماث ويوم أغواث ويوم عماس ويوم الهرير ، وسموا المعركة التى وقعت بأطراف البصرة بين على والزبير وطلحة بوقعة الجمل . وهناك معركة بحرية سميت بذات الصوارى . وأطلقوا على اسم المعركة التى وقعت بين عبدالرحمان الغافقى والافرنج معركة بلاط الشهداء .

والسبب الذى ساق دى جويه الى العدول عن رأيه لا يؤيده له ؛ لأنه متى أصبحت كلمة أجنادين علما لمعركة فيجوز أن تذكر بلا حرف تعريف ، ويجوز أن النساخ أهملوا كتابة حرف التعريف . وكذلك وجود موضع يدعى بأجنادين فى فلسطين فى زمن عبدالملك ، لا يكون نافيا للاستدلال على كلمة أجنادين . وما دامت المعركة سميت بمعركة الأجنادين ، فلا مانع من أن يحتفظ ميدان المعركة بالاسم نفسه .

طه الهاشمى